عنوان الليسانس: لسانيات عامّة.

السداسي الخامس. السنة الثالثة ليسانس

المادة: علم الدلالة 1

وحدة التعليم الأساسية. المعامل: 02. الرصيد: 04

نوع الدرس: محاضرة

إعداد الأستاذة: د. غنية تومي

المحاضرة 06: الدلالة والتأويل

يعدّ التأويل من أهمّ القضايا وأكثرها درسا وبحثا قديما وحديثا، فلا يكاد اتجاه أو منزع فكري أو ديني وعقائدي أو فلسفي إلا وقد نال نصيبه من البحث في قضية التأويل، ما ولّد اختلافا بيّنا في معناه الاصطلاحي، وسنحاول في هذه المحاضرة دراسة التأويل وتقريبه للأذهان.

تعريف التأويل:

لغة: هو من الجذر اللغوي [أ و ل]، وله معان عدّة: منها معنى الرجوع إلى الأصل، عن ابن الأعرابي(ت230ه) قوله:"الأوْل هو الرجوع"، وقال ابن فارس:" أَوَّلَ الحُكْمَ إلى أهله، أي: أرجعه" وهو ما ذهب إليه الخليل بن أحمد والراغب الأصفهاني أيضا، والتأويل هو ما ينتهي إليه الشيء، والتأويل هو حمل الكلام على معنى بغير لفظ المنطوق، والتأويل هو التفسير، يقول الفيروز أبادي :"التفسير والتأويل واحد...والتأويل ردّ أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر.

والجامع بين تلك المعاني هو إرادة الوصول باللفظ إلى ما يطابق معنى مقصودا على أساس الظن الغالب، وما يوفَّقُ فيه المؤوّل بعد التدبّر والتمحيص.

اصطلاحا: التأويل هو بحث في إدراك قصد المتكلّم، والفهم الذي ينطبع في الذهن على وجه التخييل عند المؤوّل من بعد فعل المحاكاة عند المتكلم.

لقد بدأ البحث في التأويل وآلياته عند العرب والمحدثين انطلاقا من الخطاب الديني لينتقل إلى كلام البشر شعرا ونثرا. فكيف تجلّى في المتن التراثي العربي؟

اتّجاهات التأويل في التراث العربي:

تفاوت البحث التأويلي عند علماء المسلمين قديما حسب التوجّه والأهداف، لكن السمة الغالبة عليه هو الموسوعية والشمولية، وبالإمكان رصد تياريْن عامّين هاهنا، وهما:

1/ تأويل أهل الأثر: ويشمل اتجاهيْن هما: الاتجاه الحرفي، والاتجاه الأصولي.

1-1/ الاتجاه الحرفي: ويمثله الحنابلة والظاهريّة، والتأويل عندهم تحصيل المعنى من الدليل كما هو في لفظه وفي فعل الصّحابة والتابعين.

1-2/ الاتجاه الأصولي: وفيه المالكيّة والشافعية وبعض الحنابلة، ومن هؤلاء من نفى وقوع المجاز جملة، في العقائد والعبادات، ووقفوا فيها على الظاهر والمعلوم في لغة العرب، وبنوا ذلك على أدلة نقلية وعقلية، مكتفين بما اكتفى به الأوّلون اتباعا وفهما واعتقادا، وبنفي المجاز نفوا التأويل في هذا المجال، وعملوا به في غيره.

من قبيل التأويل عند أهل الأثر قولهم في الآية الكريمة:((واسأل القرية))[يوسف:82] إنّ التأويل هو اسأل أهل القرية.(على سبيل المجاز المرسل وعلاقته المحلية)

2/ تأويل أهل الرأي: يستعملون التأويل من دون سند ولا قرينة صارفة إلا مقاييس العقل، وهم وإن اشتركوا في الأصول الكبرى إلا أنهم يتفاوتون في اعتماده تفاوتهم في التوجّه الفكري والعقدي القائم بينهم، وكلّ طائفة من هذا التيار ترى أنّ تأويلها أوْلى من غيرها. ويمثّله كل من:

- الشيعة الإثني عشريّة والزيدية والإمامية والإسماعيلية والباطنية، والخوارج الأزارقة والنجدات والصفرية الإباضيّة: وتسمى بمدرسة التأويل الباطني، وهي قريبة من التأويل الفلسفي،

- الصوفيّة أو مدرسة التأويل الصوفي: وتتجاوز المعاني الظاهرة إلى المعاني الإشارية الرامزة، فللقرآن الكريم بطن وظهر، والتلاوة ظهره، والتأويل بطنه، ومن قبيل تأويلاتهم قوله تعالى:((ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها))[البقرة:114]، فأوّلوا الخراب ها هنا خراب قلوب المؤمنين وتعميرها بالأماني وشحنها بمحبة الدنيا وتفريغها من محبة الله عز وجلّ.

- الفلاسفة: من أمثال الفيلسوف الكندي والفارابي وابن سينا..، ابتغوا التوفيق بين الدين والفلسفة؛ إذ إنّ النص القرآني في منظورهم رمز لا يستطيعه إلا الخواص، ومن قبيل تأويلاتهم ما ذهبوا إليه من قوله تعالى:((والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية))[الحاقة:17] ؛ إذ قالوا في تأويل الآية الكريمة إن العرش هو الفلك التاسع الذي هو فلك الأفلاك، والملائكة الثمانية التي تحمل العرش هي الأفلاك الثمانية التي تحت الفلك التاسع، والعرش هو نهاية الموجودات المبدعة الجسمانية، وأن الله تعالى على العرش

لا على سبيل الحلول، والعرش محمول على ثمانية، والحمل على وجهين؛ بشرى كحمل الحجر على الظهر، وحمل طبيعي كالماء محمول على الأرض.

يمكن النظر للتأويل من جهتين؛ الأولى أنه بمعنى التفسير والشرح والبيان والإيضاح، والأخرى بمعنى صرف اللفظ عن معناه الطبيعي، لينسجم والتوجّه الفكري عند كل طائفة حيث إنّ رفض الصفات الخبرية عند المتكلمين أو إثبات بعضها إنما هدفه منع التشبيه والتمثيل والتعطيل، بينما يتجه إثباتها بمعانيها الطبيعية عند أهل الأثر إلى عدم التكييف والتعطيل والتمثيل معا كذلك، وتحوّل الخلاف من النص القرآني إلى النص الإنساني الشعري والنثري.

ويقصد بالصفات الخبرية تلك الصفات التي أخبر الله تعالى بها عن نفسه، فصدّقت بها طائفة كما هي من غير تمثيل ولا تشبيه ولا تكييف، وصدّقت بها طائفة أخرى بتأوّلها بما يؤدي معنى النفي والتعطيل، فأثبتوا بعضها وأنكروا البعض الآخر لمعارضته المنطق والعقل، وهذا الأخذ والرد أنعش التأويل وجعله أداة بحث واستقصاء لا غنى عنها في يد كل طرف .